المادة :- تاريخ اوربا في العصور الوسطى

المرحلة الاولى /قسم التاريخ

م م ابرار محمود صالح

الحروب الصليبية (دوافع الحروب الصليبية)

لقد كانت الحالة العامة في البلاد الاسلامية ملائمة لتقدم الصليبيين فقد كان العالم الاسلامي آنذاك تنقصه الوحدة السياسية والقيادة الكفؤة. ففي اسيا الصغرى لم تكن سيطرة السلاجقة محكمة فكانت الحاميات العسكرية في الكثير من المناطق ضعيفة. لم يكن باستطاعتها صد التقدم الصليبي، كما كانت هناك اماكن مهمة ليس فيها حاميات على الاطلاق ولم تكن علاقات السلاجقة مع السكان حسنة، يفسر هذا الوضع سرعة تقدم الصليبيين في اسيا الصغرى، وسقوط المعاقل الاسلامية هناك الواحدة بعد الاخرى. ولم يكن وضع السلاجقة في بقية انحاء دولتهم بأحسن حال، فبعد وفاة ملك شاه عام ١٠٩٢، اخر سلاطين السلاجقة الاقوياء لم تعد في سوريا سلطة قوية وكثرت النزاعات والحروب بين الحكام المحليين وكان الاخوان رضوان ودقاق قد توليا حكم حلب ودمشق وسرعان ما نشب الخلاف بينهما، واتفق رضوان مع باغي سيان امير انطاكيا على مهاجمة دقاق، في ظل هذا الوضع لم تستطع أي من الدولتين الفاطمية والعباسية قيادة العالم الاسلامي آنذاك

والوقـــوف بوجـــه الزحـــف الصـــليبي بســـبب حالـــة الضـــعف والانحلال فيهما.

عبـــر الصـــليبيون البســـفور عـــام ١٠٩٧، واحتلـــوا نيقيـــه بعـــد ان اكتســـحوا حاميتهـــا الســـلجوقية وبعـــد مـــدة قصـــيرة الحقـــوا هزيمـــة كبيـــرة بـــالجيش الســـلجوقي فـــي دور يليـــوم (اســـكي شـــهر) وفـــتح بـــذلك الطريـــق امـــامهم للتقـــدم فـــي اســـيا الصـــغرى وواصـــلوا زحفهـــم حتـــى وصـــلوا شـــمال ســـوريا، وهنـــاك ضـــربوا الحصـــار علـــى مدينـــة أنطاكيـــا المهمـــة وكانـــت تنقصـــهم التجهيـــزات ومســـتلزمات الحصـــار، فـــانتظروا وصـــول الاســـطول الايطـــالي لاحكـــام عمليـــة الحصـــار والشـــروع بـــالهجوم علـــى المدينـــة، ودخـــول الســـفن الايطاليـــة يعـــد مـــن التطـــورات المهمـــة فـــي الحـــروب الصـــليبية. فمـــن ناحيـــة لـــم يعـــد الصـــليبيون يعتمـــدون بصـــورة كليـــة علـــى مواصـــلاتهم البريـــة عبـــر الاراضـــي البيزنطيـــة للوصـــول الـــى ســـوريا وفلســـطين فصـــار بامكـــانهم انذاك الاعتماد على المواصلات البحرية.

ثـــم ان وصـــول الاســـطول الايطـــالي الـــى الشـــرق كـــان باعثـــا علـــى نشـــاط التجـــارة بـــين الشـــرق واوروبـــا عبـــر البحـــر المتوســـط الامـــر الـــذي كـــان لـــه اعمـــق الاثـــر فـــي تطـــور اوروبـــا السياســـي والاقتصـــادي والاجتمـــاعي. وصـــارت الخـــدمات التـــي تقـــدمها الســـفن الايطاليـــة امـــر لـــه بـــالغ الاهميـــة للصـــليبيين، وادرك اصـــحاب الســـفن تلـــك الحقيقـــة فاشـــترطوا فـــي طلبـــاتهم وفـــي ثمـــن خـــدماتهم واســـتغلوا حاجـــة الصـــليبيين الـــى ســـفنهم فوجهـــوا الحـــرب بمجملهـــا لخدمـــة مصـــالحهم الخاصـــة ولـــم تمـــض مـــدة

طويلة على قيام الحروب الصليبية حتى وطدت المدن التجارية الايطالية اقدامها في مدن سوريا وفلسطين.

وخلال حصار الصليبيين لأنطاكيا اشتدت الخلافات بينهم فغادرت فئة منهم بقيادة بلدوين ساحة الحرب، وتوجهت الى اعالي الفرات وادت عملياتها الحربية الى سقوط مدينة الرها واقام بلدوين امارة فيها، واستمر حصار انطاكيا ثمانية اشهر حتى سقطت في حزيران عام ١٠٩٨، واتخذ بوهيموند مقر لإمارته التي عرفت بإمارة انطاكيا وأثار سقوط انطاكيا حماس الصليبيين وتناسوا لمدة قصيرة خلافاتهم وتوجهوا الى بيت المقدس، وبعد حصار اكثر من شهر سقطت المدينة المقدسة بأيديهم في الخامس عشر من تموز عام ١٠٩٩، واقام الصليبيون مذبحة كبيرة حتى ان الدماء سالت في الشوارع وسار ريموند بعد احتلال القدس الى طرابلس واحتلها واقام لنفسه فيها امارة.

وهكذا اقام الصليبيون لأنفسهم اربع دويلات في قلب المنطقة العربية هي كونتيسة الرها وامارة انطاكيا وكونتيسة طرابلس ومملكة القدس والمواقع المقدسة الاخرى (الناصرة وبيت لحم) وموانىء بيروت وعكا وصيدا وحيفا وعسقلان كان حاكمها جودفرى دى بوايون الذي اكتفى بلقب حامي لقبر المقدس. وعند وفاته اخذ اخوه بلدوين لقب الملك واعترف بسيادة القدس على بقية الدويلات الصليبية ولكن ذلك الاعتراف كان اسميا فقد تمتعت كل واحدة بالسيادة والاستقلال الكاملين.

وقسمت كل واحدة من الدويلات الاربع بين الاتباع بشكل ينسجم مع الذهنية والتقاليد الإقطاعية. فكان الملك او الكونت السيد الاقطاعي الاعلى ويليه الاتباع الاقطاعيون لكل منهم اقطاعه الخاص. وارتبط بيمين الولاء الاقطاعي لسيدة الاعلى. وفي اسفل البناء الاقطاعي الاوروبي الذي لم يكن يمثل الا فئة حاكمة صغيرة عاشت بين جموع ناس من المسلمين والمسيحيين. تأثر المسيحيون الاوربيون كثيراً بسكان البلاد فاخذوا عنهم عاداتهم وملبسهم ومأكلهم واستخدموا الاطباء العرب وتكلموا العربية. واقيم في كل الدويلات الصليبية نظام كهنوتي ذات صلة بكنيسة روما وادخل نظام الأديرة الغربي الى الشرق. وتطورت مؤسسة دينية في الشرق عرفت بالمؤسسة الدينية العسكرية وهذه في الاساس تكونت من رهبان ركزوا جهودهم على حماية الحجاج والمسافرين الى بيت المقدس ثم صاروا يتدربون جيدا على حمل السلاح وازداد عددهم وبلغت اهميتهم حد تكفلهم بحماية الدويلات الصليبية في الشرق.

ومن أشهر تلك الفرق الداوية وفرقة الفرسان الاسبتالية وكان معظم الاعضاء في هذه الفرق من صغار النبلاء الذين مزجوا الحماس الديني بحب القتال والمغامرة وقد منحوا قلاع واراض في الدويلات الصليبية وصاروا في نهاية الامر يملكون اوسع الاراضي واقوى القلاع. وتركز النشاط الاقتصادي في المدن الساحلية وقد حصل التجار الايطاليين على احتكارات خاصة بل واعطوا من كل ميناء جزء وبما

ان خدماتهم لا يمكن الاستغناء عنها لذلك تسابقت السلطات الدينية والدنيوية في منحهم الامتيازات وتوفير لهم التسهيلات وبذلك فإن التجار الايطاليين من اكثر المنتفعين من الحروب الصليبية.

وعاش الصليبيون في محيط غريب معاد لهم لذلك اهتموا بالمؤسسات الدفاعية وكانت هجمات المسلمين مستمرة على معاقلهم، وكان لزاما على كل نبيل تقديم عدد من الفرسان والمشاة للخدمة في الجيش الرئيسي وهذا ينسجم تماما مع التقاليد الاقطاعية الاوربية ومن حيث تركيب الجيش تعلم الصليبيون ان الخيالة الثقيلة التي لا تسندها قوة من المشاة المدربة خاصة من رماة النبال عديمة الجدوى والفائدة أمام الفرسان المسلمين ذوي الاسلحة الخفيفة ورماة النبال وعمد الصليبيون الى بناء قلاع قوية على طول حدودهم وحدث تطور هام في نباء القلاع وتحصين الحدود.

ونقاط الضعف عند الصليبيون كثيرة منها قلة عددهم في محيط غريب معاد لهم، فقد رجع الكثير من الصليبيين الى ديارهم أما القادمون الجدد كانوا قليلي الخبرة وينقصهم الحماس للعيش في الشرق وكثيرا ما كانوا مصدر لمتاعب الدويلات الصليبية. ونقطة الضعف الاخرى هي النزعة الاقطاعية المتمثلة باللامركزية فلم يكن هناك ما يجمع شمل هذه الدويلات ويوحد كلمتها ويدفعها لاتخاذ عمل مشترك الا في حالة الازمات الكبرى وحتى في مثل هذه الحالات لم تنجح الدويلات الصليبية من اقامة قيادة موحدة ولم تعش

تلـــك الـــدويلات المتنـــاثرة والمتنـــافرة مـــدة طويلـــة الا بســـبب الخلافـــات بـــين المســـلمين انفســـهم وتفـــرق كلمـــتهم وعنـــدما ضـــم العـــرب والمســـلمون شـــملهم وتوحـــدت قيـــادتهم تهافتـــت القـــوى المسيحية وسقطت الامارات الصليبية الواحدة بعد الاخرى.